الاستاذ هيكل وتهمة التزوير

رد الاستاذ على خصومه

وعدت قرّاء المقتطف ان انشر رد الاستاذ هيكل فهذه ترجمتهُ مع المحافظة على الاصل قدر الاستطاعة . قال

ان ما جاء في مقدمات كتب مختلفة من كتب التعليم وما نشر في جرائد الاسبوع الماضي من الاقوال التي لا صحة لها يضطرني الى ايضاح بعض امور لها علاقة بالمسائل الآتية وهي . اولاً النزاع القائم الآن بين « جمعية التوحيد » و « وجمعية كبلر » . ثانياً المطاعن الشديدة التي وجهتها الى جمعية كبلر بصفتي رئيساً اكرامياً لجمعية التوحيد . ثالثاً المسألة العظمى وهي مسألة الانسان

جمعية التوحيد وغايتها — انشئت هذه الجمعية في مدينة يانا منذ ثلاث سنوات وغايتها تأييد مذهب التوحيد[1] في الخلق الذي لا يسلّم اصحابهُ الاّ بما ينطبق على الاختبار المبني على المشاهدات والتجارب كما هي الحال في دروس العلوم الطبيعية كلها ولا يلتفتون الى الوحي والعجائب والخوارق . واهم نتائج هذا المذهب فوز مذهب النشوء وتعميمهُ وتطبيقهُ على الانسان لانهُ كغيرهِ من الحيوانات اللبونة نشأ من اوفى الحيوانات الفقرية بعد ان مرّ في سلسلةٍ من الاجداد اوفى منهُ في المرتبة الحيوانية . . . . .[2]

اما مبادىء هذا المذهب فقد شرحتها في كتاب وضعتهُ سنة ١٨٦٦ وسميتهُ « ابنية الاحياء » (المورفولوجيا) ثم توسعت في المذهب في كتاب « انجيّة الكون » الذي نشرتهُ سنة ١٨٩٩ . وقد قبل بهذه المبادىء اكثر العلماء الطبيعيين ولا يزالون يوالون البحث فيها في كثير من المجلات مثل « مجلة التوحيد » البرلينية للدكتور كرو يروغايتها نشر مذهب التوحيد ومجلة مستنيرت الشهرية المسماة « المذهب الجديد في الخلق » للدكتور

---

(١) يعتقد هيكل بوجود موجود واحد في الطبيعة وهو المادة فيسمي فلسفتهُ بالمونسم اي التوحيد للتمييز بينها وبين فلسفة الثنية اي الدونسم التي يعتقد اصحابها بوجود المادة ونفس او روح او قوة اخرى غيرها تؤثر في المادة . (٢) ساعدني سبعة انكليزية لحسن الثقة الالمانية في ترجمة هذا الرد فلن وصلت الى هذه العبارة قالت لنا ما تشعرهُ الانسان واشرفت عليّ حذفها والاّ امتنعت عن تمبر الترجمة فحاولت اقناعها ان ناقل الكفر ليس بكافر فلم تفلح واخيراً وجدت انهُ لا بد من اجابة طلبها وحدثت الله لانهُ لم تحدث عن اوض اخرى فسنوجب حذف الرد برمتهِ

بريتباخ وايضاً مجلة « الكون » التي تصدر في ستاتغرت وغايتها البحث في مذهب النشوء واصحابها جماعة من علماء الطبيعة

جمعية كبلر وغايتها — من الامور البديهية ان هذا القول بالتوحيد قامت عليه قيامة علماء الكلام وانصارهم اصحاب مذهب الثنية لانه جعل العقائد المسيحية القديمة التي بني عليها التمدن الحديث خالية من القيمة في نظر العلم فانشأوا في فرنكفورت منذ سنة جمعية سموها جمعية كبلر غايتها العظمى التسليم المطلق بالوحي والعجائب وبالله له ذاتية محدودة وبنفس بشرية خالدة على صورته . وتكفلت هذه الجمعية بحل العقدة التي لا تحل وهي التوفيق بين الحقائق الطبيعية المسلَّم بها والمبنية على مذهب التوحيد وبين العقائد الدينية القائلة بمذهب الثنية وبعبارة أخرى ظنت انها تقدر ان تجعل هذه الحقائق خاضعة لمعتقداتهم . فانضم اليها جماعة من المحافظين والمتدينين وعضدوها بكل قواهم ومن جملتهم مديرو المعارف الرجميون الذين سرت فيهم الروح الاكليريكية في بروسيا وبافاريا من اولها الى آخرها

فلما اشتد ازر هذه الجمعية حملت حملة منظمة في الشتاء الماضي على جمعية التوحيد فكان لكتاباتها الكثيرة والخطب التي القاها الخطباء المنتقلون من اعضائها شأن لا يستخف به

واشد هؤلاء الخطباء خماسة ونشاطاً الدكتور ارنولد براس (Arnold Brass) وهو منذ ثلاثين سنة يحاول ان ينال مقاماً بين العلماء فظن انه يسهل عليه الآن نيل بغيته بالخطابة والكتابة ضد مذهب النشوء وخصوصاً احدى نتائجه الممقوتة اكثر من غيرها وهي « نشوء الانسان من القرد » - [1] وهو لشدة حذره يسلم بالبراهين التي لا يمكنه انكارها كبراهين تشريح المقابلة وعلم الاجنة فيأخذ هذه الحقائق التي يعرفها تمام المعرفة ويقلبها يمكر عجيب ويصحفها ويفسرها كيفما يشاء ليوهم القارئ ان لا قيمة لها في اثبات مذهب النشوء . ورأى ان افضل طريق توصله الى غايته توجيه المطاعن المتتابعة اليّ والى كتاباتي

ونشر منذ سنتين رسالة سماها « ارنست هيكل وحقيقة امور في علم الاحياء » انتقد فيها كتابي تاريخ الخلق انتقاداً مرّاً فقال ان شجرة النسب التي فيه فرض لا قيمة له ومختر يناموس تولد الاحياء (Biogenesis) فجعله وهماً باطلاً وندّد بمذهب النشوء البطيء [2] فقال

---

(١) كثيراً ما يستعير الاستاذ هيكل عبارات خصومه على سبيل التهكم فتنقل عنه كأنها له ونؤخذ حجة عليه وعلى غيره من العلماء الطبيعيين ومن هذا القبيل قولهم انه اعترف بتزوير الصور وان اكثر العلماء قد وقعوا في هذا الخطإ مع انه ذكر ذلك على سبيل التهكم كما سبق

(٢) اطلق هيكل لفظة (Gastraea) وهي يونانية الاصل ومعناها البطن على جنس من الاحياء الدنيا مؤلف من كيس او بطن فقط وزعم انه اول حيوان تولد في الكون ونشأت منه كل الحيوانات الباقية على اختلافها

انهُ دليل على جهل المبادىء الفسيولوجية الاساسية . فلم اردَّ على هذه الرسالة الخبيثة ولا على غيرها من الكتابات البذيئة التي على شاكلتها

وفي العاشر من شهر ابريل الماضي القى خطبة في برلين امام جماعة من السوسيين الاشتراكيين موضوعها « الانسان الاول » اعترض فيها اشدَّ الاعتراض « على نشوء الانسان من القرد » ثم اخذ في تزوير صور الاجنَّة التي رسمتها الواحدة حذاء الاخرى لسهولة مقارنتها فقال انها تزوير في العلم وادَّعى انني عكست هذه الصور فوضعت رأس جنين الانسان على بدن جنين القرد وقال ان كلامهُ هذا عن خبرة لانهُ هو بنفسهِ اعطاني الصور الحقيقية الاصلية . فالوقاحة المتناهية التي نشر بها هذه المزاعم وغيرها من المفتريات التي لا صحة لها احرجتني الى الرد عليها فقلت انها اكاذيب غاية في الوقاحة وانهُ لم تكن لي علاقة بهذا الرجل سوى انهُ منذ سنوات طلب اليَّ ان امدَّهُ بيد المساعدة في خطبة اراد ان يلقيها في وير وموضوعها « رأي غيثي (Goethe) في الالوان » . (راجع ايضاً اقوال الدكتور بريتباخ في مجلة المسياة « المذهب الجديد في الخلق »)

مسألة القرد — اما براس فعوضاً عن ان يعترف بخطائهِ ويرجع عن اقوالهِ الكاذبة نشر منذ بضعة اسابيع رسالة اخرى بذيئة عنوانها « مسألة القرد وهي آخر تزويرات الاستاذ هيكل » . فالتزويرات المزعومة هي جداول نشرتُ بعضها لشرح خطاب القيتهُ في برلين سنة ١٩٠٥ وبعضها لشرح خطاب آخر القيتهُ سنة ١٩٠٧ والغرض منها تقريب بعض الحقائق المسلَّم بها الى افهام عدد كبير من المستمعين . اما براس فحاول اقناع قرَّائهِ انها تتعلق باكتشاف جديد اكتشفتهُ واريد ادخالهُ بين الناس بتزوير الحقائق . وهذه الرسالة تقع في اثنتين واربعين صفحة وهي مشحونة بالمزاعم الكاذبة وتحريف الاقوال جزافاً والتفاني في المحبة الخالصة لي والمطاعن الخبيثة عليَّ . ولو شئت ان اظهر كنه هذا الرجل للزمني ان اؤلف فيهِ كتاباً لا ينقص عن ٤٠٠ صفحة

الاستاذ طارطوف — كنت اوثر السكوت عن المطاعن السابقة واشباهها لو لم يحدث منذ اسبوع ما احرجني الى هذا الرد الموجز فان جريدة اخبار مونيخ نشرت في عددها الصادر في ٩ ديسمبر رسالة خالية من التوقيع « عنوانها ارنست هيكل وتزوير صور الاجنة » وظهرت هذه الرسالة ايضاً في عدة مجلات المانية واجنبية في وقت واحد . وقد ظن ناشروها انهم بعملهم هذا يهدمون ما بنيتهُ في هذه السنين الطوال ويقضون عليَّ قضاء مبرماً ويزيلون « وصمة العار عن العلم في المانيا » حسب قولهم اما كاتب الرسالة فلاخلاق لهُ والاَّ لما احجم عن توقيعها

باسمه فانه ونعما هكذا » الاستاذ الدكتور ك . . » وسامحه الاستاذ طارطوف لان اخلاقه في العلم تنطبق على هذه الشيمة[1] . اما القضاء عليّ ادبياً وعلمياً فاني اريح باله من جهتي لانه قضي عليّ منذ عهد بعيد فقد قرأت منذ اكثر من ثلاثين سنة في جريدة كلها ورع وتقوى انه قد قضي عليّ في عالم العلم « قضاء لا حياة بعده » . وللاستاذ دنرت (Dennert) الرئيس الديني لجمعية كبلر ومن شيعة الدكتور براس ومثله « لا ينطق الا بالحق الصريح » اقوال مثل هذه فانه يكثر من ذكر موت المذهب الداروني حتى انه وصف لنا احتضاره وصفاً بديعاً . لكننا نرى بالرغم عن كل ذلك ان « سم » هذا المذهب قد سرى سرياً خفياً في كل المؤلفات التي الفت حديثاً في علم الاحياء (البيولوجيا)

تزوير صور الاجنة — اني اعترف حسماً للجدال في هذه المسألة ان عدداً قليلاً من صور الاجنة (محرفة في المئة او ثمانية) موضوع او « مزوّر » اذا عدّ الدكتور براس ذلك تزويراً وذلك في ما اذا كانت المواد التي يراد فحصها او رسمها غير كاملة حتى يضطر فاحصها او راسمها وهو يضع حلقاتها بعضها بازاء بعض في سلسلة ارتقائها ان يملأ ما بينها من الفراغ بحلقات فرضية وان يصور الاجزاء المفقودة من اعضائها حسب قوانين تركيب الاعضاء بعضها ببعض . اما صعوبة هذا العمل وسهولة الخطإ فيه فلا يقدر ان يحكم فيهما الا الذين اتقنوا علم الاجنة . وقد اطال الاستاذ طارطوف الكلام على ذلك متظاهراً بالتعقل قال « اما الآن وهي اول مرة أُوعز بها الى علماء الاجنة الالمانيين فليتكلموا صريحاً بلا تحفظ . وغاية ما يرجى من الاستاذ هيكل نفسه ان يخبرنا الحقيقة وبأي طريقة عملت هذه الصور ومن احضر له الصور الاصلية . . . . وكل جواب آخر منه لا يقنع الشعب الالماني ولو كان حكماً من المحاكم الالمانية »

ما شاء الله ! الشعب الالماني ! بل نخبة من دهاة رجال القضاء للجلوس على منصة القضاء والحكم في مسألة صور الاجنة المسألة التي يستوجب فهمها وانتقادها ان يقضي الانسان سنوات كثيرة في درس تشريح المقابلة وعلم الاجنة . وكل من خبر علماء الاجنة الالمانيين ومقاصدهم وطرقهم المختلفة في البحث وآراءهم المتنوعة واختلافاتهم وتعصبهم لا يرجو ان يكون الحكم اجماعياً في هذه التهم المؤلمة

فبعد هذا الاعتراف « بالتزوير » يجب ان احسب نفسي « مقضياً عليّ وهالكاً » .

---

(١) هو بطل رواية مشهورة لموليير يضرب به المثل في الرياء والخبث

لكنهُ يعزيني ان ارى بجانبي في كرسي الاتهام مئات من شركائي في الجريمة وبينهم عدد كبير من الفلاسفة المعوَّل عليهم في التجارب العلمية وغيرهم من علماء الاحياء (البيولوجيا) ذوي الشأن . فان اكثر الصور التي توضح علم بنية الاحياء وعلم التشريح وعلم الانسجة وعلم الاجنة المنتشرة في كتب التعليم والمطوَّلات والمعوَّل عليها « مزوَّرة » مثل « تزويري » تماماً ولا يختلف عنهُ في شيء . فكل هذه الصور ليست مضبوطة تماماً لكنها تختلف في وضع اجزائها بعضها مع بعض وقد حذفت منها الزوائد التي لا لزوم لها لكي تظهر الاجزاء الجوهرية جلية في شكلها وتركيبها

تولُّد الانسان (انثروبوجنيسيس) - هو عنوان خطب بدأت في القائها سنة ١٨٧٤ وحاولت فيها لاول مرة ان اقرب الى افهام التلامذة تاريخ نشوء الانسان . ثم بعد ذلك بثلاثين سنة اصدرت الطبعة الخامسة من هذه الخطب وهي في مجلدين بذلت في تاليفهما عناية كبيرة وبينت فيهما نشوء الانسان بدرس الاجنة وحاولت تطبيق ناموس تولُّد الاحياء على الجسم البشري كلهِ واستعنت بعلم الاحافير (پليونتولوجيا) وعلم تشريح المقابلة وعلم الكائنات (أنتولوجيا) لحل مسألة الانسان الكبرى . وفي سنة ١٨٧٤ شهض احد علماء التشريح في ليبزك واسمهُ ولهلم هس (Wilhelm His) (وهو رجل قوي الملاحظة ومتقن لفن الرسم) فاعترض عليَّ نفس الاعتراض الذي اعترضهُ زميلهُ براس في هذه الايام فرددت عليهِ في خاتمة الطبعة الرابعة من كتابي المذكور آنفاً ونقضت تهمتهُ التي كان لها صدًى عظيم في ذلك الزمن . ومما يدل على اخلاق الدكتور براس انهُ لم يشر الى ذلك مطلقاً وضرب صفحاً عن كتابي هذا مع ما فيهِ من دقة البحث وجعل موضوع انتقادهِ خطبتين من خطبي التي لم اعنَ بها

جمعية النفاق — ان السهام السامة التي رشقتني بها جمعية كبلر الورعة وهي تفيض محبة مسيحية يظهر ان عند الدكتور براس ميلغاً وافراً منها لكنها قد عادت كلها عليهِ . اما ما اشار عليَّ بهِ بعض الاصدقاء والتلامذة وهو مقاضاتهُ امام المحاكم فلا رغبة لي فيهِ فليتهاذ الخواجات ربنكي ودغرت وبراس وشركاؤهم في القذف وزوع بزور الشبهات . ولست بناقم من علماء الكلام وعلماء ما وراء الطبيعة والكهنة والمأذونين ابتهاجهم بهذه الامور فهي موردٌ مستطاب لخطبهم ومواعظهم

والغرض الذي يرمون اليهِ وهو ان يقيموا لهم اساساً متيناً منطبقاً على ما يعتقدونهُ من مذهب التثنية في الخلق يبنون عليهِ عقائدهم الدينية ويوفقون بينهُ وبين المعارف العلمية

الحديثة غرض فاسد وخداع باطل ولذلك يحق ان يلقبوا بجمعية النفاق

اما الآن وقد بلغت الخامسة والسبعين من عمري واستقلت من استاذية علم الحيوان التي شغلتها ٤٨ سنة فاني اعتزل الاعمال العلمية وانا عالم علم اليقين انني بذلت غاية الجهد هذه السنين الطوال وضحيت كل مرتخص وغال في سبيل خدمة الحق

يافا ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٨ ارنست هيكل

هذا ما ردَّ به الاستاذ على خصومه ومن الاطلاع عليه يتضح للقراء ان لا صحة لتهمة التزوير التي اتهم بها وان ما قيل عن تركه جامعة يافا مكرهاً لا اساس لهُ ايضاً فانهُ استقال منها من تلقاء نفسه لتقدمه في السن ولا اريد بالدفاع عن هيكل اثبات مذهبه او القدح بمخالفيه بل غايتي الدفاع عن رجل قضى ما يزيد عن خمسين سنة في خدمة العلم والحق . وقد يكون مخطئاً في بعض آرائه لكنَّ من يقرأ كتاباته يرى انهُ يعتقد صحة ما يقول فتهمتهُ بالتزوير والخداع تهمة من اقطع التهم وعمل وفيه لا يغتفر . ومن يكتب رداً كهذا لهُ حدة وغضب لا يكون خادعاً وماكراً بل يكون ابعد الناس عن المكر والخداع . وغاية ما ينتقد عليه في ردهِ هذا حدتهُ ولهُ عذر في ذلك فرجل قضى العمر في البحث والتنقيب لخدمة العلم والف ما يزيد على اربعين كتاباً في اهم المواضيع التي تشغل افكار الناس وعانى من المشقة والنصب ما يعجز القلم عن وصفه وشهد لهُ العلماء على اختلاف نزعاتهم انهُ من اعظم علماء البيولوجيا ثم تقوم فئة من طلاب الشهرة وهادمي اركان العلم تتهمهُ بانهُ مزوِّر خادع ماكر لا يلام اذا ظهر في ردهِ عليها بعض الحدة لاسيما اذا كان خصومهُ على جانب عظيم من الدهاء ومن البارعين في الجدل يقلبون الحقائق ويموهون على الناس بالمغالطة والتضليل ويبنون نتائجهم على مقدمات لا اساس لها ولا غاية لهم من ذلك الا صرف الافكار الى ما يطول به مجال المشاغبة على غير جدوى . ولم يخفَ هذا الامر عليه فقد قال في احدى مناقشاته مع الاب وسمان ما ترجمتهُ : « ومن المحال ان استطيع الرد على كل المسائل التي اوردها واقنعهُ بفسادها فان اقوى البراهين المنطقية واوضحها بياناً لا تكفي لاخماد واسكاته لشدة مهارته في استعمال الحقائق لاخفاء ما يريدهُ بتضليلاته الفاسدة ومن العبث اقناعهُ بالادلة المعقولة لانهُ يعتقد ان « الايمان فوق العقل »

ويظهر من كتاب انسز مكَّاب الذي نشرتهُ في الجزء الماضي من المقتطف ومن رد الاستاذ هيكل المنشور في هذا الجزء ومن المقالة التي نشرت في جريدتي الاخبار والبشير ان

هذه المطاعن التي وجّهت الى هيكل كانت حملة منظمة في كل انحاء العالم غايتها اسقاطه وهدم اركان مذهب الشوء وهي سياسة سيئة لا تعود الاّ بالضرر على مذاهب الذين يقاومون هذا المذهب . ولا شبهة ان هيكل ملحد كافر لا يؤمن بالله وينكر الوحي والبعث فليجادلوه في ذلك ان شاؤوا ولكن ما لهم والتعرّض للحقائق العلمية فهل نسوا ما فعلوا بغليليو وقد اجبروه ان يقسم ان الشمس تدور والارض لا تدور ثم رأوا انهم مخطئون وانه كان مصيباً. ولو سلمنا جدلاً ان هيكل كاذب ومزوّر وخادع وماكر وانه زوّر الصور البيولوجية ووضع راس القرد على بدن الانسان فهل فسد مذهب التشوء بذلك وهل مسألة الاجنة الدليل الوحيد على صحته . فما مثلهم في هذه الامور الاّ مثل من نقحمه بعثة دليل على صحة قولك فيعترض على دليل منها واحد ويحاول نقضه زاعماً انه ينقض بنقضه الادلة التسعة والتسعين الباقية

امين المعلوف

آفة الشرق

من كتاب بعث به الدكتور ايوب ثابت من بيروت الى الدكتور رضا توفيق بك نائب ادرنه

الاعتقاد المتأصل في عقول البشر في حال فطرتهم والغالب عليهم في عصور جهلهم ان الدين هابط عليهم من قوة فوق قوتهم لا يدركونها وحكمة اسمى من حكمتهم لا يحدّونها وانه لذلك ليس لهم ان يغيروا حرفاً من حروفه ولا ان يتناولوا ولو للاستنارة عمّا جاء في سطوره. وهذا الاعتقاد هو الذي وقف كل تلك القرون الطوال في سبيل تقدم الانسان ورقيّه عموماً وفي طريق بلوغه الى المدنية الحديثة على وجه خاص الى ان جاءت الثورة الافرنسية فلاشت هذا الوهم وابطلت الزعم بتقديس سلطة الملك فصعدت من ثم بالغرب الى ما هو عليه اليوم من الرقي الباهر والمدنية الزاهرة . وهذا الاعتقاد هو الذي يقف اليوم في سبيل نشوئنا وارتقائنا نحن والشرقيين عموماً . وهو الذي لم تقوَ ثورتنا السياسية على ملاشاته حتى ولا على زعزعته ومن ثم على ازالة الوهم الراسخ في العقول من ان الشرائع المدنية والنظامات الاجتماعية لا تقبل التغيّر لانها هابطة مع الدين من قوة لا تدرك وحكمة لا تحد . والسبب الاهم في ان ثورتنا لم تبلغ وان تكن في القرن العشرين بعض ما بلغته ثورة الغرب — على الاقل من زعزعة هذا الوهم الراسخ في العقول — هو ان ثورتنا السياسية لم تتقدمها ثورة في الافكار كما وقع